# باب الحرائط والمناطق

## الماديات والمعنويات

الانسان كائن مادي حي وان المادة يخضع في معظم نواميس تكوينه وعليها يعوّل في معيشته. هذه حقيقة ملموسة لا ريب فيها. وانه لمتميز عن المخلوقات الأخرى بحياته العقلية والسلوكية ومثله العليا وهي المعنويات التي تجعله بمعزل عن صفات المادية الصرفة، تلك الصفات التي تجعله والحجر الأصمّ على حدّ سواء إذا ما سيطرت عليه سيطرة تامة. فمن فجر التاريخ الى يومنا هذا نجد التفاعل مستمراً بين سلوك الفرد المعنوي وسلوكه المادي، وما الحضارة إلاّ وليدة هذا التفاعل وربيبته، فكم من أفكار معنوية أوجدتها عوامل مادية وكم من آثار مادية ولدتها تخيلات معنوية. فكثير من القصص الخرافية التي ابدعها الخيال الوثاب نبهت وأنبأت عن الطيارة والغواصة حتى صارتا حقائق ملموسة، وأكثر المخترعات تنبأ بها النابغون فحسبت تصورات وهمية قبل أن تصبح حقائق يشار اليها بالبنان. وما تصورات (دون كيشوت) من مستقبل الحياة في جميع فروعها عنا ببعيد. وكذلك ما يتخيله السرابغ فيه وتقرؤه — في الوقت الحاضر — عن المستقبل فتحسبه وهماً وخيالاً مع أنه سيتحقق في يوم من الأيام. ثما تقدم نستنتج أن المعنويات أساس الماديات فيجب أن تكون هي المسيطرة والمنظمة لحياة الفرد والمجتمع، لأن الروح المادية إذا ما طغت فسدت الحياة وتحولت الى ميدان تكالب وتناحر وتدهور في الأخلاق وضيعة للكفاءات وانتحار للحضارة فتصبح والحالة هذه لا تساوي شروى نقير. فالعلوم الطبيعية وهي التي أوجدها الكسب المادي إذا لم تسيطر عليها معنويات عالية وتسوقها الى طريق الخير العام للبشر تصبح أداة تدمير مقوضة لأركان الحياة لا تدانيها أداة، فتكون نتيجتها خسران ما أوجدت من أجله على مذبح الأنانيات والاستهتار الخلقي.

الآداب من غذاء روحي أكثر منها مادي ومع الأسف ... عند الكثير من الأدباء ... مادة الأدب وانتأكيد عليها فيما ينظم وينثر ... نتائج توزيعها في ... كي أو البكاء على حالة الفقراء من أجل المادة وخاصة المترفين وغير ذلك ، والأدباء ... أصحاب البرج العاجي المتجردين عن المادة لا بل المتجردين عن الحياة في الغالب . وإني وإن كنت موافقاً على شمول الأدب لكل ما في الحياة ومراميها فإني لا أوافق على اقتصار الأديب على ناحية دون أخرى، بل ينبغي أن تترك له الحرية في الاتجاه الى أية جهة يريد فيها من مجال القول، وفوق هذا فإني أعد أصحاب البرج العاجي التاركين المادة وخلافها لرجال السياسة ساعين وراء القوى الروحية والخلقية لتهذيب المجتمع على أساس معنوي متين تفنى المادة ولا يفنى أو تتغير أحوالها ولا يتغير مع أنه لا يوجد منثور أو منظوم لا يمثل الحياة ولو بالتلميح . كما أني لا أرى رأي من يسعى الى تشجيع الأدب مادياً لأنه ليس بسلعة تباع وتشترى بل يجب أن يشجع نفسه بنفسه بما يحتوي من مثل عليا أو روح سامية تجعل المادة تأتيها منقادة لا أن يكون تابعاً ذليلاً لها . وكذلك لأن هذه الحالة من التشجيع قد تتطور فتعود بنا الى الأدباء المداحين المتسولين من أجل الكسب، وهذا ما لا يرتضيه من يعتقد بسمو الروح فوق المادة .

❖

وأما في ميدان الاجتماع فاذا ما أفرطت الروح المادية وأصبحت المادة غاية كل فرد انتشرت الفوضى بسبب روح التذمر وضاعت الكفاءة وأهدرت الحقوق وتصدع الاتحاد وسيق المجتمع الى الهاوية الآجلة أو العاجلة . فما تقدم يتضح لنا أن المعنويات أصلح من الماديات في الحياة لأنها تؤدي بها الى الطريق المستقيم البعيد عن روح التناحر والتخاذل ، فتمد في عمر الحضارة والعمران على أساس معنوي خلقي مكين .

القرنة — البصرة

مشير شبل الدهر